

أثر الوقف في البحث العلمي والنّهوض الحضاري نموذج الوقف على الجامعات

إعداد:

أ. د. محمّد الحبيب منّادي

أستاذ اللغة والأدب العربي (الجزائر)

وأستاذ محاضر (أ) بالمركز الجامعي آفلو - الأغواط (الجزائر)

تعريف عام بالمؤلف/ الباحث:

أستاذ اللغة والأدب العربي، وأستاذ التّعليم الجامعي بالمركز الجامعي آفلو - الأغواط - الجزائر، وعضو مجمع اللسانيّات التّداوليّة وتحليل الخطاب بجامعة عمّار تليجي بالأغواط، وعضو الاتحاد الوطني للدّكاترة والباحثين الجزائريّين - فرع الأغواط، وعضو لجنة التّحكيم في الكتاب الجماعي «النّحو العربي واللسانيّات المعاصرة - الائتلاف والاختلاف» الأغواط، وعضو في مركز جيل البحث العلمي (الجزائر).

الهدف العام للمادة العلمية:

يسعى هذا البحث إلى الحديث عن نوع من أنواع الوقف وهو نماذج لـ(الجامعة الوقفية) التي تعد - اليوم - نموذجًا للتعليم الحديث، ونموذجًا للرفقي الاجتماعي، يبين الباحث من خلاله أثر الوقف في البحث العلمي والنّهوض الحضاري. فللجامعة علاقة وثيقة بالمجتمع، وللووقف علاقة أوثق بهما، كما يسعى البحث إلى بيان أثر الوقف في النهوض بالجامعة وأثر الجامعة في النهوض بالوقف، وذلك من خلال عرض بعض التجارب الوقفية العالمية.

الكلمات المفتاحية:

الوقف - البحث العلمي - النهوض - الحضاري.

أهمية المادة العلمية:

سعى البحث إلى الإجابة على الإشكاليّة المتمثّلة في معرفة أثر الوقف في البحث العلمي والنهوض الحضاري، وذلك من خلال عرض لنماذج الوقف على بعض الجامعات العربيّة والإسلاميّة والغربيّة، وبيان أثرها في المجتمع على أن غاية الجامعات الوقفيّة أن تكون مجالاً للإبداع والنهوض الحضاري، ويكفي لبيان أثر الوقف على الجامعات إسهامه في حلّ مشكلة البطالة، خاصّةً للحاصلين على شهادتي الماجستير والدكتوراه، وذلك من خلال استيعاب معظم أعضاء هيئة التدريس، أمّا الأثر المادّي للوقف على الجامعات فيظهر فيما يُدرّسه الوقف من أموال لحلّ معظم إشكالات البحث العلمي القائمة، فضلاً عمّا فيه من مراعاة لمصلحة الأجيال القادمة، فإنشاء وقف هو بمثابة إنشاء مؤسّسة اقتصاديّة دائمة لمصلحة الأجيال القادمة.

أبرز موضوعات المادة العلمية:

قسم الباحث البحث إلى ما يلي:

١. المقدّمة:

ذكر الباحث فيها أن الوقف نظام إسلامي محض، ونفعه عام، ومن صوره أن ظهرت الحاجة إلى (الوقف على البحث العلمي) وتمويل الجامعات ومراكز البحث، وكذا تمويل الباحثين من خلال الوقف، بما يُحقّق للأمة اكتفاءها الدّاتي، ويعمل على تعزيز استقلاليتها، وحرّيتها، وذلك عن طريق التّوجّه نحو الوقف على (الجامعات) ذات التّخصّصات الحيويّة التي تنفع الأمّة، وتشجيع المبادرات لتمويل التّعليم في الجامعات الحكوميّة، والتوسّع في الاستثمارات الوقفيّة في المجالات التّنمويّة، وفي مقدّمتها (الجامعات).

٢. ماهية الوقف وأركانه:

وهذه الفقرة عرّف الباحث فيها عدة مصطلحات لها ارتباط بالبحث، فقد عرّف ماهية الوقف العلمي والتعليمي، وذكر أنه هو شكلٌ من أشكال الوقف «العصريّة» التي تعمل على استقبال التبرّعات أو الأوقاف النّقديّة والعينيّة واستثمارها في الجانب العلمي، وتطرق إلى تعريف ماهية الجامعة الوقفية، وذكر أنها ما جرى حبسُه من أعيان المال بهدف إقامة الجامعة وأدائها لوظائفها كالوظائف التّدرسيّة (نشر المعرفة)، والبحثيّة، وخدمة المجتمع.

٣. دوافع إنشاء الوقف بالجامعات (الوقف الجامعي):

ذكر الباحث أن هناك دوافع عدة - في عصرنا هذا - لإقامة الوقف على الجامعات والعمل على تشجيعه، ويُمكننا إيجازها في الفقرات الآتية:

١. التخلف النسبي الذي تعيشه بعض الجامعات العربيّة، ويكفي في ذلك الاطّلاع على أيّة إحصائيّات معاصرة، تشمل: (ترتيب الجامعات، والتّعليم الجامعي، والأبحاث، ومستوى القراءة، والبحث العلمي، وبراءات الاختراع... إلخ).

٢. عيشُنَا في ما يُسمّى بـ «عصر الثّورات السّتّة»، وهي: (المعلومات، والاتّصال، والفضاء، والتّكنولوجيا، والبيولوجيا، والجينات)، وهي كلّها مجالات في (البحث العلمي)، وكلّ واحدة منها تحتاج إلى تمويلٍ كبير؛ ليُفتح بذلك المجال للوقف على الجامعات؛ لسدّ فجوة الإنفاق على هذه الثّورات العلمية والمعلوماتية.

٣. من العناصر الأساسيّة لنظام تمويل البحث العلمي، عنصر المصدر أو «المورد المالي» اللازم للصّرف، الذي يجب أن يكون مورداً ثابتاً وقابلاً للنموّ والتّ تنمية الدّائيّة المستدامة.

٤. الحاجة إلى تجهيز المعامل بأحدث الأجهزة والمعدّات العلميّة، وإنشاء المكتبات المتخصّصة في البحث العلمي، التي تعتمد على تقنيّات الاتّصال المنتظم مع قواعد المعلومات المتخصّصة في المجالات العلميّة المختلفة.

٥. مواجهة البطالة: من الملاحظ على بعض الجامعات الوقفية أنها أولت قضية توظيف الخريجين عنايتها من خلال تكوينهم العلمي والفني والمهاري بما يواكب مستجدات العصر، وهو ما يُتيح للخريج أن يحصل على وظيفة - ضمن مجال تخصصه -.

٦. استحداث تخصصات جديدة: الوقف يفتح الباب أمام ظهور عدد من المتخصصين في الأعمال، فمن المبادئ الاقتصادية المشهورة أن «التخصص يرفع الإنتاجية ويزيد الابتكار».

٧. التفريغ لطلب العلم: يكفي لبيان ذلك قول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «لو كُفِّتُ شراء بصلة ما تعلّمت مسألة».

ولا شك في أن العناصر السابق ذكرها هي من أكبر الدوافع لإقامة الوقف على الجامعات؛ لما يُدرّه الوقف من أموالٍ لحلّ معظم إشكالات البحث العلمي القائمة، فضلاً عما فيه من مراعاة لمصلحة الأجيال القادمة، فإنشاء وقف هو بمثابة إنشاء مؤسسة اقتصادية دائمة لمصلحة الأجيال القادمة.

٤. التفاعل بين الوقف العلمي والجامعة:

ذكر الباحث أن التفاعل بين الوقف العلمي والجامعات تتجلى ثمرته في تحقيق مخرجات الجامعة من جهة، وإحياء فكرة الوقف على البحث العلمي من جهةٍ أخرى، وعلى هذا استعرض الباحث بيان ذلك من خلال ما يلي:

أثر الجامعة في النهوض بالوقف والمجتمع: من خلال التأثير بالكلمة والدعوة إلى الوقف وأهميته، ونشر ثقافته وآثاره على المجتمع، وعوائده على الناس والبيئة والحيوان والحياة كلها.

أثر الوقف في النهوض بالجامعة والمجتمع: يُمكن إيجاز هذا الأثر بالنظر إلى عوائد الوقف على الجامعة المتمثلة في مصدر تمويل ثابت ومستقرّ، ويعود هذا إلى حفظ الأصول المنتجة وعدم التصرف فيها والإنفاق من ريعها، وتحقيق الاكتفاء الذاتي للمؤسسة التعليمية.

٥. منافع الوقف على البحث العلمي:

تعرض الباحث لمنافع الوقف على البحث العلمي، فذكر أن في مقدّماتها دعم الجامعات الحكوميّة بالتّوجه نحو التّخصّصات الحيويّة النّادرة التي يتطلّبها سوق العمل، وذلك بإزالة العوائق الماليّة التي تعترض سبيل تطوير الجامعة.

٦. آفاق الجامعة الوقفيّة:

تطرق الباحث في هذا الباب إلى آفاق الجامعة الوقفية، وهي أنها تسعى - على اختلاف شروط وقفها واستراتيجيّاتها - إلى تطوير مستوياتها البحثيّة ومخرجاتها؛ لضمان أعلى مستويات الجودة، وتسعى لأن تكون مسهمة مع الجامعات الحكوميّة.

٧. عوائق الجامعة الوقفيّة:

ذكر الباحث أن من أولى عوائق (الجامعة الوقفيّة) عائق التشريع لما يتعلّق بخصّوص الوقف، ونوازل، ومن العوائق أيضاً تضييع الأوقاف بالإغراق في التوجيّهات وسوء الإدارة، أو استغلال القائمين على هذه الأوقاف لأموال الواقفين والتّصرّف فيها لأغراض شخصيّة، ومن بين العوائق عدم احترام شرط الواقف.

٨. التّجربة الإنسانيّة في الوقف على البحث العلمي

عرض الباحث بعض التّجارب الوقفيّة العالميّة، وقد ذكر عدة تجارب لبعض الجامعات العربيّة والإسلاميّة، ومنها تجربة الجامعات التّركيّة، وتجربة الجامعات المغربيّة (جامعة القرويين بفاس)، وتجربة الجامعات المصريّة، وتجربة جامعات الجزائر. كما ذكر تجربة بعض الجامعات الغربيّة (الأمريكيّة)، منها تجربة جامعة هارفارد.

٩. الخاتمة:

وفي الخاتمة تطرق الباحث إلى الإجابة على الإشكاليّة المتمثّلة في معرفة أثر الوقف في البحث العلمي والتّهوض الحضاري، وذلك ببيان ماهية الوقف، وأركانه، مع عرض لنماذج الوقف على بعض الجامعات العربيّة والإسلاميّة والغربيّة، وبيان أثرها في المجتمع.

أبرز النتائج والتوصيات:

- أوصى الباحث بالاهتمام بإقامة الأوقاف الجامعية ودعمها، وذلك من خلال ما يلي:
- إقامة الجامعات بالأوقاف في مناطق جديدة (ناثية) بغرض إعمارها.
- إقامة الشراكة بين الجامعات الوقفية لتبادل الخبرات وتجاوز العقبات، والاستفادة من التجارب الوقفية.
- إقامة لقاءات علمية ودورات تدريبية للتعريف بالوقف وأهدافه التنموية.
- تطوير أوعية جديدة للوقف العلمي وتنوع مجالات البحث والتطوير.
- رفع المخصصات والمعونات والمنح المالية اللازمة للبحث العلمي.
- تعميم فكرة تخصيص صناديق وقفية لتمويل مختلف المشروعات الخيرية، ومنها المشروعات العلمية.
- إدماج نظام الوقف وتعليمه في مراحل التعليم المختلفة، والتعريف به إعلاميًا.
- تجسيد الأفكار الوقفية الإبداعية، مثل: (فكرة البنك الخدمي).

تعليق ختامي على البحث:

هذا البحث يعد مميّزًا في بابهِ؛ فقد ذكر أثر الجامعة في النهوض بالوقف والمجتمع، وأثر الوقف في النهوض بالجامعة والمجتمع، مدعّمًا ذلك بعدة نماذج للوقف على الجامعات العربية والإسلامية والغربية، وبيان أثرها في المجتمع من حلّ مشكلة البطالة، خاصّةً للباحثين على الماجستير والدكتوراه، وذلك من خلال استيعاب معظم أعضاء هيئة التدريس، عن طريق الإعلان الحقيقي والمنافسة الحقيقية، والتفرّغ للعمل، ومن ثم الاستغناء عن الهجرة والتغرّب.

أمّا الأثر المادّي للوقف على الجامعات فيظهر فيما يُدرّره من أموالٍ لحلّ معظم إشكالات البحث العلمي القائمة، فضلًا عمّا فيه من مراعاة لمصلحة الأجيال القادمة، فإنشاء وقف هو بمثابة إنشاء مؤسسة اقتصادية دائمة لمصلحة الأجيال القادمة.